ماجد عرسان الكيلاني

- ❖ أبحاث مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، القاهرة، 29–31 يوليو، 1990م.
- ❖ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بالتعاون مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م، ص 75–166، [90 صفحة من القطع المتوسط].
- ❋ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.
- ❋ مجال البحث (الكتاب): الشخصية المسلمة.

❑ ❑ ❑

هدف الباحث في ورقته إلى التحدث أساساً عن معنى العمل الصالح – كما يراها هو – من وجهة نظر التربية الإسلامية، ومن ثم ماهية عناصر الإنسان الصالح المولّدة للعمل الصالح. وبمعنى آخر فإن العنوان الذي تكلم عن مقومات الشخصية المسلمة ربما هي التي عناها الباحث – في هذه الورقة – بعناصر أو مقومات الإنسان الصالح.

تركز محتوى الورقة على خمسة مقومات اعتبرها الباحث رئيسة أو الأساس للإنسان الصالح أو الشخصية المسلمة، والتي هي مقومات مسبّقة للعمل الصالح ولإتقان ذلك العمل (فعِلّة الخلق، ومادة الإبتلاء، والإختبار في الدنيا، ومقياس النجاة في الآخرة، هي العمل الصالح المتقن).

حيث تناولت الورقة تربية القدرات العقلية (واعتبرها الباحث وظيفة أو وظائف العقل)، ثم تربية على التمثل بالقدوة أو المثل الأعلى، ثم تنمية الخبرات الدينية الاجتماعية والكونية عنده، فتربية إرداته، وأخيراً تنمية قدراته التسخيرية.

❋ انطلق الباحث أساساً من فكرة أن العمل إما أن يكون صالحاً أو سيئاً، والعمل الصالح هو التطبيق الأمثل لعلاقات الإنسان المسلم بنفسه وبخالقه وبالكون وبالحياة وبالإنسان وبالآخرة.

ولا يقتصر العمل الصالح – برأي الكاتب – على مجال معين في الحياة،

بل هو شامل لكل جوانبها وميادينها: سياسياً، علمياً، ثقافياً، زراعياً، مهنياً، صناعياً، وظيفياً، فكرياً، تربوياً، اقتصادياً، قضائياً، اجتماعياً، عسكرياً، دينياً، أخلاقياً. . . إلخ.

ويقعِّد الباحث العمل الصالح على خمسة مبادئ:

1. تكامل مظاهر العمل وعدم فاعلية أي منها دون الآخر
2. عدم اقتصار العمل الصالح على حب الخير النافع وإنما يتعداه إلى مجابهة الشر الضار.
3. وأن العمل الصالح ينقسم إلى قسمين: عمل أخلاقي وعمل ناجح.
4. وأن العمل الصالح هو العمل النفعي، أي أن المقصود منه هو المنفعة.
5. وضرورة الإعداد والتدريب على العمل الصالح وتوفير بيئته ومؤسساته وأساليبه ووسائله.

* ولكي يتولد العمل الصالح - من قبل الفرد الصالح - فإنه بحاجة إلى:

- إرادة عازمة تنتج من تزاوج القدرات العقلية للفرد مع مثله الأعلى.
- وقدرة تسخيرية تنتج من تزاوج القدرات العقلية مع الخبرات، ومن تزاوج الإرادة العازمة والقدرة التسخيرية ينتج العمل الصالح.

* ثم يدخل الباحث في باب القدرات العقلية ليصنفها إلى قدرات: «العقل، التأويل، التدبر، الفقه، التفكر، التذكر، النظر، الشهود، الإبصار، والحكمة».

ويضرب الباحث في هذا المجال أمثلة قرآنية كثيرة للتدليل على وجود هذه القدرات، ثم يدخل بعدها في التفكير السليم ومنهجه وخطواته وتدريب المعلم على أنواع التفكير الشامل التجديدي والسُنَني. بعدها يربط الباحث بين منهج التفكير السليم وكيفية تنمية القدرات العقلية ثم توفير البيئة اللازمة لتنميتها.

ثم يتطرق لاحقاً إلى المؤسسات التربوية قديمها (في التراث الإسلامي) وحديثها ودورها في تنمية القدرات العقلية.

* وبعد القدرات العقلية يدخل الباحث في تربية الفرد على تعشّق المثل

الأعلى والذي يعرِّفه الباحث بأنه:

«نموذج الحياة التي يراد للفرد المسلم أن يحياها وللأمة المسلمة أن تعيش طبقاً لها».

ويقصر الباحث المثل الأعلى على إنفراد الله سبحانه وتعالى لوحده بتحديد المثل الأعلى الذي يستند إلى قوانين الخلق وسنن الوجود الحق، بينما يتخبط المثل الآخر (مثل السوء عند غير المؤمنين) بمجالات الوهم والباطل ويصطدم مع قوانين الخلق وحقائق الحياة.

ويضع الباحث للمثل الأعلى ثلاثة مستويات: أعلى، متوسط، آدمي:

- فالمستوى الأعلى هدفه الإرتقاء بالنوع الإنساني.
- والمستوى الأوسط هدفه الإبقاء على النوع البشري.
- والمستوى الآدمي هدفه تلبية حاجات الجسد البشري.

وبعد تحديد هذه المستويات يأتي الباحث على دور التربية الإسلامية في تنمية كل مستوى من هذه المستويات.

* ثم يعرج الباحث إلى المقوِّم الثالث وهو تنمية الخبرات الدينية والاجتماعية والكونية عند الفرد. وبعد تفصيله لأنواع الخبرات يتحدث عن الخبرات الكونية، فالخبرات الاجتماعية، فالدينية، ثم الخبرات الكونية والاجتماعية في المؤسسات التربوية القائمة في العالمين العربي والإسلامي، ليقارنها بعدها بالخبرات في التربية الحديثة المعاصرة.

* والمقوِّم الرابع في طروحات الباحث هو تربية الإرادة عند الفرد، حيث يريد الباحث بالإرادة:

«المركب الأول للعمل الصالح الذي هو السمة المميزة للفرد الذي نريد من التربية الإسلامية إعداده وإخراجه».

ويرى الباحث أن الإرادة تنتج كثمرة تفاعل بين القدرات العقلية والمثل الأعلى (سبق للباحث أن سّماها الإرادة العازمة).

ثم يقوم الباحث بإجراء مطابقة بين المستويات الثلاثة للمثل الأعلى مع مستويات أساس ثلاثة مقابلة للإرادة العازمة:

- إرادة الإنسان للغذاء لبقاء الجسم.
- إرادة الإنسان للنكاح لبقاء النوع الإنساني.
- إرادة العقيدة والقيم ليرقى الإنسان بنوعه.

أما الإرادات الفرعية فالباحث يرى أنها كثيرة جداً مدلِّلاً عليها بآيات كثيرة من القرآن الكريم. ثم يقارن الباحث بين العمل الصالح من جهة، ونمو الإرادة ونضجها أو فقدانها وضعفها من جهة أخرى.

* ثم تأتي الورقة أخيراً على المقوِّم الخامس وهو تنمية القدرة التسخيرية والتي سبق أن أشار الباحث إلى أنها منتج للتزاوج بين القدرات العقلية والخبرات.

والقدرة التسخيرية عند الباحث، نوعان:

- تسخيرية في ميادين الكون لاكتشاف قوانين الكون ثم تحويلها إلى تطبيقات وممارسات صائبة.
- وتسخيرية في ميدان النفس لاكتشاف قوانين السلوك وتفاعلاته في حياة الفرد أو ممارسات الجماعة.

وكما أعطى مستويات ثلاثة لقدرات سابقة، يعطي الباحث للقدرة التسخيرية مستويات ثلاثة كذلك:

- أولها، قدرة على التفاعل العلمي مع الكون المحيط.
- ثانيها، قدرة على فهم القوانين والسنن المكتشفة.
- وثالثها، قدرة على فهم التطبيقات العلمية وكيفية عملها وتركيبها واستعمالها.

* وبعد هذه المقومات الخمسة ينطلق الباحث إلى ضرورة التوازن بين الإرادة العازمة من جهة والقدرة التسخيرية من جهة ثانية، ليعمل هذا التوزان على تربية الفرد المسلم تربية سليمة. ثم يتطرق بعدها إلى مشكلة تربية الفرد في

أهداف التربية الحديثة عموماً وأزمتها الكبيرة في الأقطار العربية والإسلامية على وجه الخصوص، لأنها ضيّعت مفهوم العمل الصالح لتحصره في مبادئ العبادة والأخلاق الفردية، ليؤدي إلى شيوع الجبرية والكسل وعدم استجابة الفرد المسلم للنظام وعدم اهتمامه بشؤون الآخرين. ثم إلى تشويه معنى العمل الصالح وإخراجه عن مدلوله الأصلي ليؤدي بالتالي إلى إهمال المؤسسات التربوية للقدرات التسخيرية والخبرات المربية، مما أفرز أفراداً يفتقرون إلى القدرات والمهارات التي يتطلبها العصر. ثم يأتي الباحث إلى السبب الثاني لهذه الأزمة ليحدده بغموض نموذج المثل الأعلى ليؤدي إلى انفلات الخريجين من الأخلاق ومعاييرالقيم، ثم لشيوع نماذج عديدة من (المثل السوء).

ومن غموض نموذج المثل الأعلى إلى اضطرابه لتؤدي إلى تكوين أنماط شخصية (كمخرجات لهذه المؤسسات التربوية)عبارة عن مزيج من الشخصية البوهيمية (الحيوانية) والشخصية المقولبة التي تعاني من العجز وفقدان الهوية.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

العمل الصالح، التربية الإسلامية، نموذج المثل الأعلى، مقوِّمات الإنسان الصالح، أزمة التربية في العالم الإسلامي.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- البحث القائم محاولة جادة لإخراج التربية في البلدان العربية من أزمتها التي تعصف بها نتيجة استيرادها من مجتمعات غريبة عليها ولإبتعادها عن بناء النماذج السليمة للفرد المسلم والسلوك الأمثل له.
- إلا أن البحث دخل في الجانب التنظيري بعمق وأراد أن يرسم هيكلاً جديداً لأسس التربية وبناء الشخصية المسلمة مرتكزاً إلى القرآن الكريم بالدرجة الأولى أو الأساس.

- كما أنه حاول أن يخرج من التربية المعاصرة الجديدة (الأوروبية) دون أن يلغي تقدمها وإبداعها في مبادئ العلوم والتكنولوجيا وإفرازاتها المادية التي بدأت تتحول الآن إلى الجانب الاجتماعي.
- وبسبب عمق التفاعل مع التربية المعاصرة من جهة وفهمه للتربية الإسلامية - بخلفية جيدة ومتفتحة - من جهة ثانية، فقد سيطرت الأبعاد النظرية على مضامين وطروحات الورقة أكثر من ولوجها في جانبها التطبيقي والميداني.
- كان العمل الصالح المتقن من ضمن المقومات الخمسة كما ذكر الباحث ألا أنها في الحقيقة أربعة مقومات (علة الخلق، مادة الإبتلاء، الإختبار في الدنيا، مقياس النجاة في الآخرة) تتظافر جميعها لينتج عنها (العمل الصالح المتقن). بالطبع أنا لم أذكر شيئاً من عندي فهذا طرحه هو، ولكني أحاول مجرد تصحيح العدد الذي ورد في الورقة.

❑ ❑ ❑

opelkandl.com